الدعوة إلى الله تعالى في مكة
خلال أربعة عشرة سنة الأخيرة
(١٤١١هـ - ١٤٢٤هـ)
دراسة تقويمية ورؤية مستقبلية

إعداد

د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى بمكة

ص. ب: ١٣٩٠ – فاكس: ٥٥٨٣٨٨٨

ت: ٠٥٥٥١٢٤٧٥

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، أمّا بعد؛

فقد شاء الله تبارك وتعالى أن جعل بلده الحرام مكة مهد الدعوة الإسلامية، وموقع الأذان الأول للناس بالحج، منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى ذكره آمرًا نبيه وخليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿وأذن في الناس بالحجِّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق﴾ (الحج: ٣٧).

ثم بعث الله جلّ شأنه النبي الخليل محمدًا عليه الصلاة والسلام بمكة من قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا يدعو الناس ويأمرهم بطاعة الرحمن سبحانه، فكانت هذه البلدة التي حرمها الله تعال منطلقا لهداية العالمين جميعًا، قال الله العظيم سبحانه وتعالى آمرًا سيدنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلّم: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربّك فكبِّر. وثيابك فطهِّر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربِّك فاصبر﴾ (المدثر: ١-٧).

وما زالت مكة ذخيرة للإسلام وأهله، وأسوة للدعوة الإسلامية ودعاتها على مرّ العصور وكرّ الدهور؛ فكثير ممن دخلها أو نـــزل بها تزوَّد من الدعوة الإسلامية، وكثير خرج منها داعيًا إلى الله تعالى يقتدي بما رأى وما سمع.

ولقد رأيت أن أخصص هذا البحث في جزء من أيام الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، وأدرس ما فيها مقوِّمًا، وأحاول أن أنظر أفقيًا، وأستشرف بعض الرؤوى المستقبلية للدعوة إلى الله تعالى في مكة.

واخترتُ أن يكون هذا الجزء التاريخي في حقبة زمنية أقلّ من خمسة عشر عامًا تنتهي بهذا العام ١٤٢٤هـــ؛ فكان عنوان البحث:

«الدعوة إلى الله تعالى في مكة خلال الأربع عشرة سنة الأخيرة (١٤١١-١٤٢٤هـ) دراسة تقويمية ورؤية مستقبلية».

- لماذا هذا البحث؟ ولِمَ هذه الحقبة بالذات؟

والجواب عن هذين السؤالين ألخصه في المحاور التالية:

أ- لعلي أبتدئ بهذا البحث إثارة للاهتمام بالدعوة إلى الله تعالى في مكة في هذا الوقت المعاصر، وأسلط الأضواء والأنظار في هذا الموضوع نحو هذا الموضوع لدراسات عميقة متخصصة، حيث لم تقع عيناي علىمكتوب أو مسوَّد فيه.

ب- كانت فكرة هذا البحث تراودني منذ أمد بعيد، وأنا أجمع لها، وأرقب من قريب وبعيد خدمة للدعوة الإسلامية، وصونًا لحقوق الدعاة العاملين فيها، وتشجيعًا وتثبيتًا لهم ولغيرهم.

ت- لقد عشتُ في مكة – وأنا من أبنائها – هذه الفترة التاريخية ورأيتُ أحوالها، وشاركتُ كثيرًا من دعاتها في دعوتهم، فلقائل أن يقول: إذا أنت من أبناء مكة ومن هذا الجيل.

ث- وكانت بداية هذه الفترة الزمنية (١٤١١-١٤٢٤هـ) مع أو بعد حرب الخليج الثانية، وذلك حين غزا العراق الكويت، وكان لمكة نصيبٌ عظيمٌ، ولدعاتها بذلٌ كبير جزاهم الله تعالى خيرًا، وثبَّتهم على الحق.

ج- وشهدت بعض السنوات الأخيرة لهذه الحقبة فتحًا عظيمًا في الدعوة إلى الله تعالى في البلد الأمين؛ حيث ابتدأت الأعمال الدعوية المرتبة والدائمة من خلال المندوبيات الدعوية بأحياء مكة وربوعها الواقعة تحت إشراف المكتب التعاوني بمكة المشرف عليه مركز الدعوة والإرشاد بمكة الذي هو أحد أفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، فارتقت الدعوة الإسلامية بفضل الله تبارك وتعالى بعد قيام هذه المندوبيات الفرعية مرتقى بديعًا رفيعًا يحتذى بمثله.

ح- كما أن النهايات الأخيرة لهذه المدة الزمنية (١٤١١-١٤٢٤هـ) شهدت إقبالاً كبيرًا من المعتمرين وزوَّار البيت الحرام على مدى العام تقريبًا بعد أن جاء الفسح الرسمي بذلك لأكثر بلدان العالم، وهذا يعني كثرة المدعوِّين في مكة ممّا يتطلب جهدًا دعويًا أكبر، ودعاة مجتهدين محتسبين.

خ- إننا بحاجة إلى دراسات دعوية تقويمية، ودراساتٍ دعوية مستقبلية في كل بلدان العالم الإسلامي، لتجمع هذه الدراسات المعاصرة حديثا تاريخيًا تقويميًا عن الماضي القريب، والحاضر الذي نحن فيه، والمستقبل المنظور إليه برؤًى ثابتة ونظرات متطورة.

خطة البحث:

وقد احتوت خطة هذا البحث على مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

وهذا هو تفصيلها:

- مقدمة (وهي التي بين أيديكم).
- المبحث الأول: مكة والدعوة الإسلامية.
- المبحث الثاني: طبيعة الدعوة إلى الله تعالى في مكة أثناء هذه الحقبة.
- المبحث الثالث: الآمال الدعوية المرجوَّة والمتوقعة في مكة.
- المبحث الرابع: الصعوبات والعوائق التي تواجه العمل الدعوية في مكة.
- المبحث الخامس: أصول وقواعد دعوية يُرجع إليها.
- المبحث السادس: توصيات ومحاذير.
- خاتمة.

واللهَ العلي العظيم ربّ العرش الكريم أسأل أن يوفِّقنا جميعًا لطاعته ورضاه، وأن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم سبحانه.

وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وآله وصحبه، والله تعالى أعلم.

وكتب

العبد الفقير إلى الله تعالى

عبد الرحمن بن جميل قصاص

بالمسجد الحرام ٢/١١/١٤٢٤هـ.

المبحث الأول

مكة والدعوة الإسلامية

إن من يعرف مكة المدينة الفاضلة يعلم يقينًا أنها المدينة الأم في الإسلام، والمنـــزل الأول للدعوة الإسلامية، فيها نـــزلت هذه الآيات:

أ- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وهذا كتابٌ أنـــزلناه مباركٌ مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ (الأنعام: ٩٢).

ب- ويقول الله العليم الحكيم سبحانه: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (الشورى: ٧).

ت- قال الله الخبير البصير سبحانه: ﴿إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين. وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين﴾ (النمل: ٩١، ٩٢).

ث- وقال الله القدير سبحانه: ﴿تبارك الذي نـــزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾ (الفرقان: ١).

ج- قال الله السميع العليم سبحانه: ﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ (الأنعام: ١٩).

ح- ويقول الله الحقّ المبين سبحانه: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (الشعراء: ٢١٤).

خ- وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر﴾ (المدثر: ١، ٢).

د- وأمر الله سبحانه خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿وأذِّن بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق﴾ (الحج: ٢٧).

إن هذه الآيات الكريمات بمجملها تتحدث عن الدعوة الإسلامية من منطلقها مكة، فالنذارة والإنذار تبدأ من هذه المدينة إلى من حولها، ثم إلى من يبلغه ذلك من العالمين.

ولا أحد يستطيع أن يتناول الحجّ – الذي هو دعوة للعالمين – إلا كان مرتكزه الأول حيث أُذِّن الأذان الأول في الناس بالحج.

والله تعالى ذكره يقول عن بيته العظيم: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدًى للعالمين. فيه آيات بيّناتٌ مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ولله على الناس حجّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً﴾ (آل عمران: ٩٦، ٩٧).

فهو مكان هداية للعالمين، وواجبٌ على أهله وحاضريه أن يكونوا هداة ودعاة للناس في هذا البلد الأمين.

وإنه ليرد على مكة المكرمة الحجاج والمعتمرون والزوّار، ويسكن ويجاور هذا البيت الحرام فئام كثيرة من العالمين، منهم من تطول إقامته ومنهم من تقصر. كما أن من العالمين من يقدم إلى مكة لاجئًا يطلب الأمن والأمان، ومنهم من ينـــزل بها متعلمًا وطالبًا للعلم، ومنهم العلماء الذين وفدوا إلى مكة يحدّثون بها، وينشرون فيها العلم والسنة، كما أن من العالمين من ينـــزل مكة لدعوة الناس والمشاركة في هدايتهم، ومنهم من يطلب التجارة في مكة أثناء المواسم وغيرها.

إذًا تنوَّع القادمون إلى مكة،واختلفت مشاربهم بحسب رغباتهم وأهوائهم، لكن يغلب عليهم جميعًا طلب الخير والأجر، وإصابة العلم والهدى.

فهي مدينة الدعوة، ودار الهداية، ومنـــزل نشر العلم والخير، وسيبقى هذا البلد الأمين هكذا بإذن الله تعالى مصدر إشعاعٍ لنور الهداية، وضياء المعرفة يأتيه العالمون من كل حدب وصوب، وينطلق منه الدعاة الهداة كما انطلق منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داعيًا هاديًا، بشيرًا ونذيرًا.

فوا عجبًا لأهل مدينة هكذا حالها يُعرِض بعض حاضريها وقاطنيها عن القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى فيها، وفرضية الانطلاق منها انشغالاً بالدنيا وملذاتها.

إن مكة تمتاز دون غيرها من مدن العام بأنه ينـــزلها المسلمون بكثرة وبانتظام في الحج وطوال أيام السنة، وكثيرًا جدًا ممن يقدّم إليها يعظّمها ويفتخر أنه تعلّم أو اهتدى بها، ويُسر السرور الكبير

عندما يحمل منها هدية أو مصحفًا أو مشعلاً للهداية من الكتب النافعة بالترجمات المتعددة، والأشرطة القيمة، فينقل هذا ما سمع أو رأى أو حمل إلى بني جلدته وعشيرته.

كما أن الدعاة الذين يخرجون من مكة إلى نواحي العالم ينظر إليهم المسلمون بعين الاحترام والتقدير، ويبسطون إليهم أيديهم بالقبول والترحاب.

فهي مدينةٌ الداعية فيها كبير، والذي يخرج منها داعيًا إلى الله تعالى في أصقاع الأرض كبير مقدَّم.

المبحث الثاني

طبيعة الدعوة إلى الله تعالى في مكة أثناء هذه الحقبة

عند تناول الحديث عن طبيعة هذه المرحلة خصوصًا لا بد لنا أن نعرف مراكز النشاط الدعوي في مكة، ومناشط انطلاقات الدعوة وأماكنها فيها.

وسأقدِّم الآن لك أيها القارئ الكريم ملخصًا يوضح هذه المراكز الدعوية في مكة.

- مراكز الدعوة إلى الله تعالى في مكة:

أولاً: مركز الدعوة والإرشاد بمكة المكرمة:

وهو أحد المراكز التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

ويتولى هذا المركز الإشراف على الدعوة إلى الله تعالى في مكة وضواحيها في المساجد والدوائر الحكومية، ومن خلال المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، ومن خلال مندوبيات الدعوة في مكة، كما يتولى التخطيط الدعوي لمكة. وبه عشرة من الدعاة الرسميين.

ثانيًا: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعيةالجاليات في مكة المكرمة:

وهو مكتب تعاوني يقع تحت إشراف مركز الدعوة والإرشاد، وله مجلس إدارة يتكوّن من عشرة أعضاء، وللمكتب أهداف هي:

أ- دعوة الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوعية المسلمين بأمور دينهم، وحثهم على دعوة غيرهم وفق منهج السلف الصالح.

ب- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وشرح محاسنه لهم.

ت- المحافظة على الفطرة بدعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة.

ث- رعاية من يدخلون في الإسلام، وتعريفهم بالمراكز والمؤسسات الإسلامية في الداخل والخارج.

ج- توثيق العلاقات بين المسلمين الجدد وإخوانهم المسلمين، وتدريبهم على كيفية دعوة غيرهم.

ح- استقبال وتهيئة السكن بجوار الحرم المكي للمسلمين الجدد القادمين من المكاتب التعاونية من جميع أنحاء المملكة لتأدية مناسك العمرة.

خ- إقامة الدروس والمحاضرات والندوات بجميع اللغات.

د- استقبال المسلمين الجدد من خارج المملكة، وتعليمهم العقيدة الصحيحة، وإهداء بعض الكتب والأشرطة النافعة لهم.

ذ- طبع الكتب والأشرطة السمعية والمرئية على الجاليات المقيمة، وعلى الحجاج والمعتمرين.

ر- إقامة المخيمات الدعوية.

ز- كفالة الأسر المحتاجة.

ويشمل المكتب التعاوني ثلاثة أقسام:

١- قسم الدعوة والإرشاد:

ومهمته: إقامة الدروس والمحاضرات والندوات واللقاءات، وسائر الجوانب الدعوية باللغة العربية من خلال مندوبيات الدعوة، ويضم اللجان التالية:

لجنة الأئمة والمساجد – لجنةالمحاضرات والكلمات – اللجنة العلمية – لجنة شؤون العاملين – لجنة الأسرة – اللجنة الاجتماعية.

ويتولى هذا القسم الإشراف المباشر على مندوبيات الدعوة في مكة.

٢- قسم دعوة وتوعية الجاليات:

ومهمته: إقامة الدروس والمحاضرات والندوات واللقاءات، وسائر الجوانب الدعوية باللغات المختلفة.

ويضم هذا القسم لجانًا، هي:

اللجنة العلمية – لجنة المسلم الجديد – لجنة الكتاب والشريط – لجنة المراسلات – لجنة العلاقات العامة والإعلام – لجنة الحج والعمرة – لجنة التبرعات.

٣- القسم النسوي:

ويتولى إقامة الدروس والمحاضرات للنساء، وتوزيع الكتب والأشرطة، وبعض المشاريع الإغاثية، والإشراف على القسم النسائي في المخيمات الدعوية [1].

ثالثًا: مندوبيات الدعوة والإرشاد بمكة المكرمة:

وهي مندوبيات موزعة على كثير من أحياء مكة وضواحيها، عبارة عن مراكز دعوية مصغرة، ولها أهداف ثمانية:

أ- نشر الوعي الإسلامي بين فئات المجتمع في الأحياء التابعة لها.

ب- تصحيح المفاهيم الخاطئة عند بعض الأفراد عقديًا وسلوكيًا وفكريًا.

ت- السعي لإيجاد الفرد الصالح في المجتمع.

ث- الحفاظ على كيان الأسرة المسلمة، ومعالجة بعض المنكرات في البيوت.

ج- معاضدة المدرسة في أداء رسالة التربية والتعليم.

ح- تفعيل دور الأئمة والخطباء في المساجد.

خ- التركيز على الشباب دعوة وتوجيهًا.

د- المساهمة في توجيه صدقات المحسنين إلى مصارفها الشرعية.

وتضم المندوبيات بمكة اثنتي عشرة مندوبية، وهي:

مندوبية التنعيم – مندوبية المعابدة – مندوبية الزاهر – مندوبية أجياد – مندوبية المنصور – مندوبية الشرائع – مندوبية الكعكية – مندوبية الرصيفة – مندوبية العزيزية – مندوبية قرى جنوب مكة – مندوبية وادي نعمان – مندوبية السجون.

وتتولى هذه المندوبيات نشاطات كثيرة، منها:

١- إقامة دروس بالمساجد.

٢- إقامة دروس داخل المندوبية.

٣- إقامة المحاضرات والندوات بالمساجد.

٤- إقامة كلمات وعظية بعد الصلوات بالمساجد.

٥- توزيع الكتب والكتيبات والمطويات والأشرطة النافعة.

٦- إقامة الدورات العلمية بالمساجد.

٧- إقامة المسابقات الثقافية والعلمية.

٨- إقامة المخيمات الدعوية والإشراف عليها.

٩- إقامة الرحلات الدعوية.

١٠- إقامة اللقاءات التوجيهية لأئمة وخطباء المساجد.

١١- إقامة المشاريع الإغاثية (نحو معونات الأسر المحتاجة، وإفطار صائم ..).

وللمندوبيات لائحة تنظيمية لم تُقَر إلى تاريخ إعداد هذا البحث [٢].

رابعًا: التوعية الإسلامية في الحج بمكة المكرمة:

وهي جهة خاصة – كما يظهر من مسمّاها – بتوعية الحجيج ودعوتهم في مكة وما حولها قبيل موسم الحج وأثناءه وبُعيده؛ وذلك عن طريق الدعاة الرسميين والمنتدبين من سائر أنحاء البلاد، وهي جهة رسمية تتبع وزارة الشؤون الإسلامية.

خامسًا: إدارة التوجيه والإرشاد بالمسجد الحرام:

وهي جهة إدارية إشرافية على الدعوة والفتيا والتدريس بالمسجد الحرام تتبع الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

سادسًا: المسجد الحرام:

ويحتوي بيت الله المعظم على منبر الجمعة، ويتناوب على الخطابة عليه ستة من أئمة المسجد الحرام، ويقوم بالتدريس فيه أئمة وخطباء المسجد الحرام، وعلماء ومشايخ من مكة، وفي المواسم من غير مكة أيضًا، وبها أماكن مخصصة للفتيا والإجابة على الاستفسارات من قبل أهل العلم.

سابعًا: إدارة الأوقاف والمساجد بمكة المكرمة:

وهي جهة إدارية تتولى الإشراف المباشر على مساجد مكة وجوامعها، وهي تتبع وزارة الشؤون الإسلامية.

ثامنًا: مساجد مكة المكرمة وجوامعها:

ويتولى الإمامة والخطابة في هذه المساجد والجوامع أئمة وخطباء رسميّون، وتشرف عليهم الإدارة السابقة الذكر، وفي بعضها دروس علمية منتظمة يلقيها بعض الأئمة والعلماء والمشايخ، وكلمات وعظية عقب الصلوات.

تاسعًا: إدارة التوعية الدينية بالشؤون الصحية بالعاصمة المقدسة (مكة):

وهي جهة إدارية دعوية تتبع وزارة الصحة، وتُعنى بنشر الدعوة في مستشفيات مكة المكرمة ومراكزها الصحية، في أوساط المرضى ذكورًا وإناثًا، ونشر الدعوة أيضًا بين الأطباء والممرضين والفنيين والإداريين.

عاشرًا: إدارة الشؤون الدينية بشر ـة العاصمة المقدسة:

وهي جهة إدارية دعوية تتبع مديرية الأمن العام، وتعتني بنشر الدعوة إلى الله تعالى في أوساط الضباط والجنود التابعين لشرطة العاصمة المقدسة في مراكزها وأقسامها المتعددة.

الحادي عشر: هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة:

وهي جهة إدارية احتسابية دعوية تتبع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقوم هذه الهيئة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، كما تقوم بشيء من واجب الدعوة إلى الخير، وذلك عن طريق مراكزها المنتشرة في أحياء مكة وضواحيها.

الثاني عشر: إدارة التوعية والتوجيه بالهيئات بمنطقة مكة المكرمة:

وهي جهة إدارية دعوية احتسابية تتبع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالث عشر: قسم التوعية الإسلامية بإدارة التربية والتعليم للبنين بمكة المكرمة:

وهي جهة إدارية إشرافية دعوية تشرف على نشاط التوعية الإسلامية بمدارس البنين بمكة، وهي تتبع وزارة التربية والتعليم.

الرابع عشر: جامعة أم القرى:

وبها كليات تشارك في الدعوة إلى الله تعالى مثل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية الدعوة وأصول الدين، وكلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر، كما أن بها لجانًا تعنى بهذا، مثل لجنة التوجيه والإرشاد العليا بفروعها، واللجنة الثقافية العامة، وبها نوادي طالبية تعتني بأمر الدعوة إلى الله تعالى أيضًا مثل نادي التوعية الإسلامية، والنادي الثقافي، والنادي الاجتماعي، ومكاتب التوجيه الطالبي ببعض كليات الجامعة، وتصدر الجامعة بعض الكتب والرسائل العلمية والدعوية، ولكثير من أعضاء التدريس بها مشاركات دعوية داخل الجامعة وخارجها مع بعض الجهات الدعوية.

الخامس عشر: كلية المعلمين:

وبها بعض الأندية الطالبية التي تسهم في الدعوة إلى الله تعالى على مستوى طلاب الكلية فقط مثل نادي التوعية الإسلامية، والنادي العلمي.

السادس عشر: رابطة العالم الإسلامي:

وهي إدارة مستقلة ومعتنية بشؤون العالم الإسلامي ككل، ولها بعض النشاطات اليسيرة في الدعوة إلى الله تعالى والتعليم ونشر الكتب في مكة المكرمة.

السابع عشر: فرع الندوة العالمية للشباب الإسلامي بمكة:

وهي جهة تعتني بالنشاطات الدعوية بالنسبة للشباب والشواب في مكة وما حولها، كما تعنى بجمع التبرعات، وفرعها بمكة يتبع الفرع الأم بالرياض.

الثامن عشر: فرع هيئة الإغاثة العالمية بمكة:

وهي جهة تعتني في أكثر أحوالها بجمع التبرعات، وللفرع جهود دعوية بمكة، وفرعها هنا يتبع الفرع الرئيس بالرياض.

التاسع عشر: فرع مؤسسة الحرمين بمكة:

وهي جهة تعنى بجمع التبرعات، ولها مشاركات في دعم بعض المشاريع الدعوية بمكة وما حولها، وهي فرع للمؤسسة الأم بالرياض.

العشرون: جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة:

وهي جهة إدارية تتولى الإشراف على حلقات تحفيظ القرآن الحكيم بمكة وضواحيها، وهي أشبه بجهة إدارية تعليمية، تتبع إشرافيًا وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الحادي والعشرون: فرع مؤسسة الوقف الإسلامي بمكة:

هي جهة تعتني في أكثر أحوالها بجمع التبرعات، ولفرع المؤسسة جهود دعوية بمكة، وهو يتبع المركز الرئيس بالرياض أيضًا.

الثاني والعشرون: مؤسسة مكة المكرمة:

وهي جهة تتبع إشرافيًا رابطة العالم الإسلامي، تُعنى بجمع التبرعات والقيام ببعض المشاريع الدعوية في مكة وفي بعض أنحاء العالم الإسلامي.

الثالث والعشرون: دار الحافظين والحافظات بمكة:

وهي جهة إشرافية ودورٌ وحلقاتُ تحفيظٍ للقرآن الكريم والسنة النبوية للبنين والبنات بمكة المكرمة.

الرابع والعشرون: هيئة الإشراف على مدارس الجاليات الخيرية:

وهي هيئة خيرية تُشرف على نشر العلم والدعوة بين أبناء وبنات الجاليات الوافدة والمستقرة بمكة المكرمة عن طريق مدارس تعليمية للذكور والإناث وبها نشاطات دعوية.

الخامس والعشرون: إدارة التوعية والتوجيه بوزارة الحج:

وهي جهة إدارية تتبع وزارة الحج، وتتولى الإشراف على توعية الحجيج أيام موسم الحج عن طريق أقسام التوعية بمؤسسات الطوافة بمكة.

السادس والعشرون: مؤسسات الطوافة:

وهي مؤسسات أهلية تباشر الإشراف على عمل الحجاج القادمين من خارج البلاد، وبها مكاتب فرعية متخصصة في توعية الحجيج.

السابع والعشرون: حملات الحج والعمرة:

وهي عبارة عن مؤسسات أهليه تقوم بالإشراف المباشر على عمل الحاج والمعتمر من داخل البلاد وخارجها، ولدى كثير منها برامج دعوية تفيد الحجاج والمعتمرين.

الثامن والعشرون: المكتبات الخيرية:

وهي عبارة عن مكتبات علمية ثقافية، وجزء من أنشطتها العناية بالشباب دعويًا في حي المكتبة نفسه.

التاسع والعشرون: المراكز الصيفية بمكة:

وغالب هذه المراكز الصيفية يخضع لإدارة التربية والتعليم بالعاصمة المقدسة، ومن خلال هذه المراكز الصيفية يعتنى بأنشطة دعوية لشباب وشواب الأمة خلال فترة الإجازة الصيفية.

الثلاثون: النادي الأدبي بمكة:

وهو عبارة عن منتدى ومنبر أدبي خاضع لإشراف وزارة الثقافة والإعلام يقدم كثيرًا من المحاضرات والندوات الدعوية.

وبعد هذه الإفاضة في الحديث عن كثير من مراكز أنشطة الدعوة إلى الله تعالى في مكة يحسن بنا الآن أن نقف على ملامح طبيعة الدعوة إلى الله في مكة في هذه الحقبة.

- ملامح طبيعة الدعوة إلى الله تعالى في مكة في هذه الفترة:

١- الانتشار الأفقي للدعوة إلى الله تعالى في مكة:

فقد شملت الدعوة إلى الخير في مكة – ولله الحمد والمنة – فئات كثيرة من المجتمع؛ فوصلت إلى الشباب والشواب، والذكور والإناث، والمتعلمين وغير المتعلمين، والمدنيين والعسكريين، والصغار والكبار، والمسجونين والأحرار، والمرضى والأصحاء، والموظفين وغير الموظفين، وأهل هذه البلاد والوافدين عليها.

٢- كثرة مراكز الدعوة إلى الله تعالى في مكة وتعددها:

فالمطلع على التعداد القريب الذكر لمراكز الدعوة بمكة يجد أنها مراكز متنوعة كثيرة، ولله الحمد والمنة والفضل، فهذا المركز يقوم بجهد دعوي خاص، وذاك مركز دعوي يقوم بجهود دعوية عامة على مستوى الأمة، فتتوافق هذه الجهود جميعًا وتتضافر في كثير من الأحيان.

٣- كثرة الدعاة والمصلحين في مكة:

وهذا يشمل الحالين جميعًا؛ أ- طوال السنة. ب- وأيام المواسم.

حيث يصل إلى مكة من الدعاة أيام موسم الحج فقط أكثر من سبع مئة داعية رسمي مُفرَّغٍ للدعوة إلى الله تعالى في مكة.

وتشتهر مكة طوال العام بكثرة دعاتها والمصلحين فيها، ومعظمها من حاضري المسجد الحرام، بالإضافة إلى من يقدُم إليها معتمرًا أو زائرًا أو مضافًا، فيشارك في الدعوة إلى الله تعالى بشكل مؤقت غير دائم.

٤- انتشار مظاهر وأساليب الدعوة إلى الله تعالى في كل مكة:

فتشتهر مكة بكثرة الدروس العلمية، وإقامة الدورات العلمية المتخصصة، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، والمحاضرات العامة والخاصة، والكلمات الوعظية بعد الصلوات، والدعايات الإعلانية عن ذلك كله، بالإضافة إلى المخيمات الدعوية داخل مكة وخارجها.

٥- كثرة العلماء والمشايخ و ـلبة العلم بمكة:

والعلماء والشيوخ وأهل العلم هم صفوة المجتمع، وقادته إلى الخير دائمًا، وبهم يستنير الدعاة الطريق بعد الله سبحانه وتعالى، بل هم في الحقيقة دعاة إلى الله تعالى ومصلحون محتسبون، ومكة تمتاز بأئمة الحرم وشيوخ وعلماء المسجد الحرام والدُّور التي حوله، وأساتذة وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة. ولذا نجد أن جملة كبيرة من هؤلاء يشاركون في الدعوة إلى الله تعالى في مكة جزاهم الله تعالى خيرًا.

٦- اتصاف غالب معالم الدعوة إلى الله تعالى في مكة بالاحتساب (غير الرسمي):

وكلما كانت الدعوة إلى الله تعالى على وجه الاحتساب لله تبارك وتعالى كانت أقوى وأخلص وأكبر أثرًا، وهذا لا يعني الطعن فيمن كان قيامه بالدعوة إلى الله تعالى رسميًا معيَّنًا لها من قبل جهة معيَّنة ويتقاضى عليها أجرًا، بل منهم محتسبون كُثُر بارك الله في جهود الجميع وفّقهم.

٧- وجود مندوبيات الدعوة والإرشاد في أحياء مكة بهذه الكثرة وبهذه القوة:

وقد تقدّم قريبًا أن هذه المندوبيات الدعوية عددها اثنتا عشرة مندوبية موزعة بين أحياء مكة وضواحيها وقُراها، بالإضافة إلى سجون مكة المكرمة.

وكل مندوبية من هذه المندوبيات أشبه بمركز دعوي نشط مستقل يؤدي – في الغالب – دوره في نشر الدعوة إلى الله تعالى بين كافة فئات المجتمع، بل إن أعضاء هذه المندوبيات ليصلون إلى طبقات وجهات ما كانت لتصل إليها مراكز أنشطة الدعوة المختلفة في مكة فالحمد لله رب العالمين.

٨- وجود الدعم المادي المحدود للدعوة إلى الله تعالى في مكة:

كان من فضل الله ومنَّته وكرمه سبحانه أن جعل للدعوة إلى الله تعالى في مكة دعمًا يقدم لها ولرجالها من قبل شخصيات تدعم الخير والإصلاح، ومن قبل مؤسسات خيرية تدعم مشاريع دعوية صغيرة كانت أو كبيرة.

وهو وإن كان دعمًا للدعوة في مكة؛ فإنه يظل دعمًا محدودًا لا يغطي كافة المشاريع الدعوية، كما أنه غير مستمر، ومن صفته أنه غير مستقر.

٩- وجود الدعم المادي المعنوي للدعوة في مكة:

ووفّق الله تعالى بعبض المسؤولين في مكة وعن مكة لدعم الدعوة إلى الله تعالى فيها سواء كان ذلك طوال العام أم في المواسم (رمضان – الحج – الإجازات الصيفية والربيعية) وذلك بتسهيل إجراءات بعض المشاريع الدعوية وحضورها، وتشجيع القائمين عليها بالكلمة والدعاء وغير ذلك.

المبحث الثالث

الآمال الدعوية المرجوَّة والمتوقعة في مكة

إن التفاؤل والاستبشار بالمدّ الدعوي في مكة وما حولها كبير، ولا بد أن يتبع ذلك سعي حثيث لتطوير أساليب ووسائل الدعوة إلى الله تعالى فيها، واستثمار الفرص الدعوية، ومن هنا كان ينبغي علينا طرح آمال دعوية مرجوّة ومتوقعة على الدعوة في مكة والمشرفين عليها على تحصيلها وعدم تفويتها.

ومن هذه الآمال الدعوية المرجوّة والمتوقعة في مكة:

١- إيجاد مجلس دعوي موّحد في مكة يُدار العمل الدعوي الرسمي والمحتسب من خلاله، ويتكوّن هذا المجلس من جميع أطياف مراكز أنشطة الدعوة إلى الله تعالى في مكة، ويعقد في كل شهر مرة ونحو ذلك لوضع خطط دعوية تطويرية على مستوى مكة المكرمة، والتنسيق بين هذه الجهات في مشاريعها الدعوية، ومن ثَم متابعة هذه المشاريع والأعمال من قبل لجان تنفيذية تتبع هذا المجلس، ولا بد أن يكون لهذا المجلس من أمانة ترتب له وترعاه، ومقرّ دائم له، ويقترح أن تكون رئاسة هذا المجلس بالتناوب والتداول على أساس الشورى الإسلامية.

٢- إشراك ودعوة كثير من أطياف المجتمع المكي وغيره للمساهمة في الدعوة إلى الله تعالى في مكة؛ وذلك بإشعار جميع المجتمع أن الدعوة إلى الله تعالى في مكة مسؤولية الجميع، كلٌّ على قدر طاقته واستطاعته.

فمكة بحاجة إلى أن يكون من دعاتها الأطباء والطبيبات والمهندسون والإداريّون والإداريّات والمعلمون والمعلمات والتجار والباعة ورجال الأعمال والأئمة والخطباء والمطوِّفون والمسؤولون والطلاب والطالبات والصحفيون والصحفيات ... إلخ.

فكأن المجتمع المكي بأسره مجنّد ومستثمر للدعوة إلى الله تعالى في مكة من خلال إثارة الحماسة بينهم في أهمية الدعوة إلى الله تعالى وطرقها ووسائلها.

ويخصص للدعوة باللسان أقوام من هؤلاء، وللدعوة بالقلم مجموعة، ولجمع الدعم المعنوي والمادي فُرُقٌ تقوم بذلك، ونحو ذلك.

٣- سدّ الثغرات الدعوية الكثيرة في مكة؛ وذلك أولاً بتلمس مدى حاجة مكة إلى الدعوة إلى الله تعالى. وثانيًا بتقسيم فئات المجتمع المكي والقادمين إلى مستويات، وثالثًا بحصر جميع المنافذ

الدعوية والطرق الموصلة إلى المدعوين وقلوبهم في مكة، ورابعًا بالتعاون المثمر والتنسيق المستمر بين الدعاة إلى الله تعالى خاصة، والجهات الدعوية عامة، وخامسًا بالتقويم المستقر والدائم لهذه الثغرات وتلك المنافذ الدعوية التي غُطِّيت دعويًا والتي لم يعتن بها.

٤- الإبداع في التفكير والتخطيط للدعوة إلى الله تعالى في مكة حيث تحتاج الدعوة إلى الله تعالى في مكة إلى مختصين في الإبداع والتخطيط، فلو خُصِّصت لجنة في مكة لهذا الغرض خصوصًا للإبداع في وسائل ومنافذ الدعوة إلى الله تعالى إلى الله تعالى في مكة واستكتاب العقلاء والمهتمين للاقتراح والإبداع الدعوية،و أن لا يُجعل هذا الأمر خاصة في الدعاة، بل يُشاع ليعم الانتفاع به، ومن ثم يتقدم المبادرون وأصحاب الفكر السليم لطرح الأفكار المنتجة دعويًا، ويُوصى القائمون على الدعوة إلى الله تعالى بمكة المكرمة بأخذ هذه الإبداعات والأفكار الدعوية بعين الاعتبار والاهتمام حتى ترى النور وتلمس الواقع.

٥- إيجاد أوقاف خاصة توقف على دعم الدعوة إلى الله تعالى بمكة تُدِّر أرباحًا ثابتة لصالح المشاريع الدعوية، وإعانة القائمين عليها، وذلك بطرح فكرة هذه الأوقاف على أهل الخير أصحاب الثراء والتجارة، ثم الإشراف المباشر على هذه الأوقاف، وصرف ريعها بدقة في الدعوة إلى الله في مكة.

وإذا وُجِدت مثل هذه الأوقاف الخاصة فإن هذا يعني – بإذن الله تعالى – استمرار المشاريع الدعوية بمكة بلا انقطاع.

٦- إيجاد قناة تلفزية وإذاعية تبث من مكة المكرمة، ومخصصة للدعوة إلى الله تعالى في مكة، لدعوة الحجاج أيام الحج، والمعتمرين والزوَّار طوال العام تشتمل على برامج دينية واجتماعية وثقافية تشرح لهم معالم الحج والعمرة وأحكامهما، وتُنبِّه إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتُحذر من البدع وأهلها وأماكنها، كما تبث هذه القناة بفرعيها التلفزي والإذاعي إلى أنحاء العالم الإسلامي وغيره لنشر الدعوة إلى الله تعالى.

ولا شك أن هذه الوسيلة الإعلامية الدعوية من أهم وأنجع الوسائل الإعلامية لسائر الحجيج والمعتمرين وحاضري المسجد الحرام ومن حول أم القرى.

٧- الاعتناء الدعوي البالغ بمطوفي الحجيج والمعتمرين عبر مؤسسات الطوافة وحملات الحج والعمرة، ووزارة الحج ووزارة الشؤون الإسلامية بحيث يكونون دعاة في مواقعهم العملية، يحملون الهدى للعالمين، ويبصِّرون المؤمنين والمؤمنات إلى أمور يحبُّها الله تعالى، وينذرونهم مخالفة شرع الله تعالى.

وذلك عن طريق إقامة دورات دعوية وشرعية وأدبية لهذه الفئة المهمة جدًا في المجتمع المكي.

٨- تكثيف الدعوة إلى الله تعالى من خلال المسجد الحرام وما حوله من ساحات وفنادق ونـــزل بحيث لا يبقى حاجّ ولا معتمر ولا زائر إلا واستفاد غاية الإفادة الدعوية في المسجد الحرام وما حوله.

ومن هنا فإني أقترح تكثيف الدروس والمحاضرات والندوات العامة بالمسجد الحرام وساحاته الخارجية والفنادق والشقق والنـــزل المحيطة بالحرم بشتى اللغات، مع الإعلام والإعلان عن ذلك بطريقة تصل لكل الحجيج و المعتمرين عن طريق مطوفيهم والمسؤولين عنهم. وتخصص مجموعة كبيرة من هذه الدروس والمحاضرات العامة لشخصيات مؤثرة لها دورها وتجربتها في الإقناع وتحبيب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى.

٩- أن يعود أكثر هؤلاء الحجيج والمعتمرين والزوَّار من مكة إلى بلدانهم دعاة إلى الله سبحانه، وهداة لأقوامهم يحملون هذه الدعوة الإسلامية إلى بني جلدتهم جميعًا، يقتدون بما رأوه ولمسوه من الحرص على نشر الدعوة، والاهتداء بسنة النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم في الدعوة إلى الله تعالى، والعمل بوسائل الدعوة المشروعة.

وإن كثيرًا من المسلمين لينظرون إلى القادمين من مكة نظرة إكبار وإجلال واحترام، فكيف لو رجع هؤلاء لأقوامهم يحملون مشعل الهداية، فيُستقبلون استقبالاً عظيمًا ينشرون به دين الله تعالى، ويصححون به العقائد الفاسدة.

وهذا يستلزم من الدعاة إلى الله تعالى في مكة والقادمين إليها جهدًا دعويًا مضاعفًا لتأهيل الحجيج والمعتمرين والزوَّار دعاة إلى الله تعالى في بلدانهم وأوطانهم بعون الله تعالى وتوفيقه.

المبحث الرابع

الصعوبات والعوائق التي تواجه العمل الدعوي في مكة

لقد قدّر الله سبحانه وتعالى أن تُوَاجه الدعوات وأصحابها على مرّ الأزمان واختلاف الدهور صعوباتٌ وعوائقُ تحول بينهم وبين المدعوّين، أو المشاريع الدعوية الكثيرة؛ فمنها ما يمكن إزالته، ومنها ما يُتخطى ويُتجاوز، ومنها أجزاء نتغلب على بعضها دون بعض، ومنها القائم الذي لم يزُل بعدُ لكن أملنا في الله تعالى كبير أن تُجتاز جميع هذه الصعوبات وتلك العقبات والعوائق.

ولا بد أن ينظر الداعية إلى الله تعالى إلى هذه الصعوبات والعوائق نظرة تفاؤلية لا تشاؤمية مع توكل على الله تعالى كبير، وبذل ما يُستطاع من جهد وسبب لإزالتها.

وتعترض الدعوة إلى الله في مكة المكرمة صعوبات وعوائق؛ منها:

١- عدم استمرار الدعم المادي واستقراره للدعوة إلى الله تعالى في مكة.

وهذا لا يعني عدم وجوده، بل يعني عدم كفاية هذا الدعم المادي للمشاريع الدعوية بانقطاعه أحيانًا، وبنقصه أحيانًا أخرى.

والمشاريع الدعوية في مكة المكرمة كثيرة وتحتاج إلى دعم متواصل ومادة ثابتة.

والدعم المادي يشمل المبالغ النقدية، كما يشمل التبرعات العينية كالعقار (السكن، الأرض، البئر ...)، والمؤن الغذائية، ومواد الهدايا، وتأمين سبل المواصلات ... إلخ.

٢- ضعف التعاون على البر والتقوى والدعوة إلى الله تعالى خصوصًا بين الجهات الدعوية ومراكز أنشطة الدعوة بمكة، والشخصيات الدعوية، والشخصيات المؤثرة في المجتمع.

وهذا يعني ضعف التنسيق الدعوي أو قِلّته، ومن أسبابه عدم وجود مجلس دعوي موحد يضم هذه الجهات وتلك الشخصيات.

فقد نجد بعض المشاريع الدعوية تتكرر الدعوة إليها والبدء فيها من أكثر من جهة أو شخصية ولا يوجد منسق بينهم أو تعاون مثمر يُكمل فيه الآخر ما بدأ الأول، ويُتم فيه الثاني ما طرقه الأول وهكذا.

٣- وجود (الروتين) الممل والعائق أحيانًا لإقامة بعض المشاريع الدعوية بمكة. وذلك بسبب أعمال إدارية رسمية هنا أو هناك تستهلك وتستغرق وقتًا وجهدًا لا فائدة منه. ولا يمكن للدعوة إلى

الله تعالى في مكة المكرمة أن تتخطى هذا (الروتين) – بإذن الله تعالى – إلا بأن تحال الأمور الدعوية الرسمية في مكة إلى لجنة أو جهة لا تلتزم بهذه العادة المملة والعائقة لكثير من المشاريع الدعوية.

وعندما يُشعر المسؤولون عن مكة وما حولها بأثر هذا (الروتين) الخانق العائق لا بد أن تتحرك فيهم الحمية الدينية فتصدر أوامرهم بالتعجيل، وتجاوز هذه العقبة إن شاء الله تعالى.

٤- وجود شخصيات دعوية مسؤولة غير متحمسة للدعوة إلى الله تعالى في مكة، وحذرة أكثر من اللازم، وأحيانًا لا تُبدي حرصها على التعاون والتشجيع، بل وُجد من بعض هؤلاء التردد والإحجام وعدم الإقدام على بعض المشاريع الدعوية.

ونظرة هؤلاء أن الدعوة إلى الله تعالى في مكة سائرة، ولا بد أن تستمر وتسير كما كانت سابقًا. والعقليات لأمثال هؤلاء رتيبة، ولا تحب المغامرة ولا ترى المبادرة في كثير من الأحيان.

٥- عدم وجود مكتب متخصص للدراسات الدعوية بمكة المكرمة. والمفروض أن يتولى مثل هذا المكتب التخطيط والإعداد لمشاريع دعوية كبيرة وصغيرة، كما يدرس هذا المكتب من هي الجهات التي يمكن أن تدعم هذا المشروع أو ذاك، ومن هم المنفِّذون له.

وبعدم وجود هذا المكتب المتخصص تبعثرت كثير من الجهود والمشاريع الدعوية، وأصبح من يتولاها أشخاص معينون، يُحيى هذا المشروع بحماستهم، ويموت يوم ينشغولون عنه، وهكذا تكون الأعمال الفردية التي تبعد عن الروح الجماعية. ويبث هذا المكتب – إن وُجد – في الأمة روح التنافس والتفكير والإبداع الدعوي، ويستقبل المشروعات الدعوية والاقتراحات في ذلك، وهو بدوره يقدم هذه المشاريع إلى المجلس الدعوي الموحد بمكة المكرمة – إن وُجد أيضًا – ويبحث عن داعمين للمشاريع الدعوية ومتبرعين.

٦- التشتت وعدم التخصص الدعوي في مجالات معينة.

فقد نجد جهات ومراكز دعوية بمكة، وشخصيات دعوية لا تخصص في أعمال دعوية معينة، تتقنها تبدع فيها، بل نجدهم أحيانًا كثيرة يعملون في أودية دعوية كثيرة لا ينتجون فيها إلا القليل. ولو ركَّزوا جهودهم في تخصصات لأبدعوا بإذن الله تعالى وتفننوا.

المبحث الخامس

أصول وقواعد دعوية يرجع إليها

إن دعوتنا إلى الله تعالى تقوم على أصول وقواعد كثيرة محددة، والدعوة إلى الله سبحانه في مكة ترجع إلى هذه الأصول والقواعد، فلا بد للداعية إلى الله تعالى في مكة من الرجوع إلى هذه الأصول والتمسك بهذه القواعد الدعوية، ومن ثم الإنطلاق من خلالها.

ومن هذه الأصول والقواعد الدعوية التي يُرجع إليها في موضوع الدعوة إلى الله تعالى بمكة ما يلي:

١- الابتداء والتركيز بتصحيح الإيمان بعد غرسه وتثبيته في النفوس:

وقد ابتدأت دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا بهذا الأمر، فركّزوا محاور دعوتهم لأقوامهم على تصحيح الإيمان بعد غرسه وتثبيته في النفوس البشرية، فهذا نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى عن دعوته:

﴿لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (الأعراف: ٥٩).

وقال الله العليم سبحانه عن دعوة نبيه هود عليه الصلاة والسلام:

﴿وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ (الأعراف: ٦٥).

ويقول الله الحكيم العليم سبحانه وتعالى عن دعوة نبيه صالح عليه الصلاة والسلام:

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ (الأعراف: ٧٣).

وذكر الله سبحانه دعوة نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام، فقال:

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ (الأعراف: ٨٥).

فعلى الدعاة إلى الله تعالى بمكة وغيرها أن يبتدئوا بما بدأ به خير البشر والدعاة إلى الله تعالى عليهم الصلاة والسلام جميعًا، ومن ثَم التركيز لتصحيح الإيمان في النفوس.

٢- استثمار تعلق القلوب بمكة وما فيها ومن فيها، واقتدائهم بالحرم وبأهله:

وهذا أصل عظيم من الأصول الدعوية بمكة المكرمة حيث خص الله تعالى الحرم والبيت بهذه الخصيصة، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾ (البقرة: ١٢٥).

وقد لمسنا ورأينا منـــزلة هذا البلد الأمين وما فيه وأهله عند القادمين إلى مكة أيضًا بعادات وتصرفات أهل هذا البلد لغلبة العاطفة عليهم في اتباع أهل مكة دون تمحيص أو تدقيق.

كما يُسرّ الحاج والمعتمر بما يحمله من مكة المكرمة من هدايا ومشتروات وغير ذلك، فإذا كان الإقبال هكذا كبيرًا من القادمين إلى هذا البلد على الدعوة والخير والهدى فإنه يدعونا إلى الاجتهاد الأكبر في دعوتهم إلى الله تعالى وتعظيم الله تعالى في قلوبهم، واستثمارميل قلوبهم وتعلّقها بالحرم وما فيه ومن فيه دعويًا.

٣- التعاون على البر والتقوى والدعوة إلى الله تعالى، والتواصي بذلك:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (المائدة: ٢).

ويقول الله سبحانه وتعالى في هذه السورة العظيمة: ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: ١-٣).

وقال الله العظيم سبحانه وتعالى في مدح أهل العمل الصالح: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ (البلد: ١٧).

والدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى هذا الأصل العالي حتى تتحد الجهود، وتتوافق الآراء، وقبل ذلك تجتمع القلوب على رأي وعمل واحد؛ يأخذ هؤلاء ببعضه، ويكمله ويتمه آخرون متعاونون معهم على هذا البر والتقوى.

وهذا الأصل العظيم يدعونا إلى التواصي بهذا الحق، والتواصي بالصبر عليه. فليس الأمر مجرد تعاون على الخير فقط؛ بل يُوصي بعضنا بعضًا بهذا التعاون المثمر، ويشجع الآخر

الأول ويدعو له ويؤيده، وكم هي الأمور الدعوية التي فوِّتت من جراء التقصير في هذا الأصل، وترك هذه القاعدة.

٤- الحرص على اجتماع القلوب، ووحدة صف المسلمين:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة على ملة واحدة، ومسمى واحد، وعقيدة واحدة، وعبادة واحدة حرصًا على تحقيق هذا الأصل؛ وهو اجتماع القلوب ووحدة صف المسلمين.

قال الله تعالى في آخر سورة الحج: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ (الحج: ٧٨).

ويقول الله العزيز الرحيم سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ (آل عمران: ١٠٣-١٠٥).

والدعوة إلى الله في مكة بحاجة إلى تحقيق هذا الأصل والحرص عليه. والدعاة إلى الله تعالى في مكة لا بد أن يجتهدوا غاية الاجتهاد حتى تجتمع قلوب العباد، وتتحد صفوفهم على توحيد الله سبحانه.

المبحث السادس

توصيات ومحاذير

وبعد هذه الجولة في ملامح طبيعة الدعوة في مكة المكرمة في هذه الحقبة، وذكر شيءٍ من الآمال الدعوية المرجوة والمتوقعة فيها، والتعرض لبعض الصعوبات والعوائق للدعوة إلى الله تعالى في مكة خلال هذه الفترة، وبسط بعض الأصول والقواعد الدعوية التي يُرجع إليها في هذا الموضوع، فإني أضع بين يديّ القارئ الكريم الآن مجموعة من التوصيات التي أرى من الضروري الأخذ والعناية بها، والحذر من محاذير وأمور لا يحسن أن تقع أو تُرى، والله تعالى الموفِّق للأخذ بالأولى، والحذر من الأخرى.

ومن هذه التوصيات، وتلك المحاذير ما يلي:

١- الاستفادة الدعوية الكاملة من كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية خصوصًا بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، حيث هذه الكلية وذلك القسم في الدعوة إلى الله تعالى – كما يظهر من مسماها – فلِمَ يكون الرجوع الدعوي إلى هذين المرجعين في موضوع الدعوة إلى الله تعالى في مكة المكرمة، وأن تشرك الكلية والقسم خصوصًا في إعداد الدراسات الدعوية المتخصصة في ذلك، والتهيئة لتخريج دعاة على مستوى مكة.

٢- استثمار الفرص الدعوية التي قد لا تتكرر في مكة، وهي فرص زمانية ومكانية وشخصية، فإذا اجتمعت جميعًا تكوَّنت بإذن الله تعالى مشاريع دعوية عميقة تضرب بأطنابها في مكة المكرمة.

فيحرص على استثمارها فإنها قد لا تعود ولا تتكرر، ولا يتكل بعض الدعاة على بعض في سبيل تحقيقها والإفادة منها.

ولقد مرّت مشاريع وفرص دعوية كثيرة عضّ أصابع الندم والتفويت الدعاة على فواتها والتأخر في تحقيقها.

٣- أوصي الدعاة والقائمين على الدعوة إلى الله تعالى في مكة المكرمة بالمبادرات الذاتية والإقدام وعدم الإحجام، وأن يكونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن يسنّوا السنة الحسنة في إحياء السنة الشرعية.

قال عليه الصلاة والسلام: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيءٌ» [٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه» [٤].

ولا ينتظر أحدنا غيره أن يبادر، أو يعاتب الآخرين في عدم المبادرة الدعوية في هذا المشروع أو ذاك.

٤- كما أُوصي بالتشجيع والتفاؤل والدعاء للعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى في مكة أو غيرها. وإن هذا خير من أن يتوجس كثير من الأخيار والصالحين والمصلحين أو يترددون، بل واجبنا جميعًا أن نُشجع الدعاة والقائمين على الدعوة إلى الله تعالى في مكة، وأن نشد على أيديهم ونؤكد مواقفهم ومشاريعهم، ونبتهل جميعًا إلى الله تعالى ذكره أن يتقبل منّا ومنهم وأن يعينهم وأن يسددهم.

٥- الحرص على التجديد المنضبط في الوسائل والأساليب الدعوية في مكة المكرمة بما يُواكب كثرة الناس القادمين إلى مكة، ويُواكب أيضًا التقدم الحضاري المادي. وهذا يستلزم منّا محاولة الإبداع والتفنن في الوسائل والأساليب الدعوية والمشروعة.

٦- إشراك أصحاب الثراء والغنى وتجار المسلمين في بعض المشاريع الدعوية بمكة لدعمها ماديًا، والمواصلة معهم من قبل الدعاة إلى الله تعالى، وهم طرف مهم من أطراف المجتمع المسلم الذي ينبغي أن يشعر بمسؤولية تجاه الدعوة إلى الله تعالى في مكة، بل ويجب عليهم أن يتبنوا أعمالاً دعوية كثيرة، وأن يبادروا بدعمها والاجتهاد في نجاحها وإكمالها.

٧- الإكثار من طباعة وتوزيع المصاحف والكتب والرسائل والمطويات والأشرطة النافعة المترجمة لكل لغات العالم الحية على شكل هدايا. ومن المؤمّل أن يصل إلى يد كل حاج ومعتمر وزائر لمكة المكرمة شيءٌ من هذه الهدايا النافعة، مع التحذير من بعض كتب ورسائل البدع التي توزع أو تباع بمكة.

٨- ينبغي الحذر من عدم الموازنة بين الدعوة إلى الله تعالى والتعليم وتربية الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يكون شيءٌ من هذا على حساب الآخر. وإن العدل والتوازن بين الأمور من سمات الأمة الإسلامية فلا إفراط ولا تفريط. وإذا تغلب جانب من هذه الجوانب على آخر فإن أحدهما يضعف، وربما يضعفان جميعًا، ولكلٍّ من هؤلاء رجاله ومجاله.

٩- الحذر من المنكرات الشرعية والبدع المنتشرة في مكة المكرمة حيث لها تأثير بالغ على قوة وضعف الدعوة إلى الله تعالى. فمن المؤسف أن يقتدي أو يتبع بعض الحجاج أو المعتمرين مواطن البدع وأماكن المنكرات في مكة بدل أن يهتدي بهدى الله تعالى في هذا البلد الأمين.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد؛

فهذا أوان ختام هذا البحث الدعوي عن مكة المكرمة وخصوصًا هذه الفترة الزمنية المليئة بالمبشرات الدعوية والآمال المرجوة والمتوقعة، وقد عددتُ تسعًا من هذه الآمال أسأل الله تعالى ذكره أن يقرّ أعيننا برؤيتها على الواقع، وقد اتسمت هذه المرحلة بملامح دعوية لخصتها أيضًا في تسع نقاط، وتعرضت هذه الدراسة لصعوبات وعوائق أجملتها في ست. وبعد عرض هذه الدراسة التقويمية للدعوة في مكة في هذا الوقت وذكر الرؤية المستقبلية؛ أجدني أحمد الله تعالى أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وأدعو المعنيين بدراسة الدعوة إلى الله تعالى في مكة أن يُوسّعوا البحث في هذا الموضوع، وأن تُخصص له إحدى رسائل الماجستير والدكتوراه.

أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا جميعًا لطاعته ورضاه، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وذريته. والله تعالى أعلم.

الهوامش

(١) انظر: نشرة (المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمكة المكرمة) من إعداد إدارة المكتب نفسه (ص ١-٥، ١٨-٢٢).

(٢) انظر: المرجع السابق بعد (ص ٦-١٧)، و(اللائحة التنظيمية لمندوبيات الدعوة والإرشاد بمكة المكرمة) من إعداد مجلس إدارة المكتب التعاوني.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٦٩١) ك الزكاة، باب الحث على الصدقة من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (٢٣٣) في المقدمة، باب من كان مفتاحًا للخير من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢٣).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- (المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمكة المكرمة) نشرة من إعداد إدارة المكتب نفسه، بدون تاريخ.
- (اللائحة التنظيمية لمندوبيات الدعوة والإرشاد بمكة المكرمة) من إعداد مجلس إدارة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمكة المكرمة، وهي لم تُقر إلى تاريخ إعداد هذا البحث.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري: الصحيح. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. مصوّرة دار الفكر للطباعة. بيروت ١٤٠٣هـ.
- ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ.
- الألباني: محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. الطبعة الثانية. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٣٩٩هـ.

حقوق الطبع محفوظة لموقع شبكة التبيان

الفهرس

- مقدمة. ٢
- المبحث الأول ٥
- المبحث الثاني ٩
- المبحث الثالث ٢٠
- المبحث الرابع ٢٤
- المبحث الخامس ٢٧
- المبحث السادس ٣١
- خاتمة ٣٥
- الهوامش ٣٧
- المراجع والمصادر ٣٩
- الفهرس ٤١